الطفل الضائع

جاء رجلٌ متقدِّمٌ في السِّنِّ إلى رجلٍ صالحٍ يشكو له همَّهُ، ويشرح له مشكلتَهُ، علَّ هذا الأخيرَ يستطيع أنْ يساعده.

كان الرجل في حالةٍ يُرثَى لها، وكانت مظاهرُ الحزنِ العميقِ وعلاماتُ التعبِ الشديدِ واضحةً عليه، جلس عند قدمَي الرجلِ الصالحِ وشكا له باكياً:

ـ كان عندنا طفلٌ عمره سبعُ سنوات، اختُطِفَ من فترة، بحثتُ عنه في كلِّ مكانٍ ولكنْ بلا جدوى.. انظرْ إلى الحالِ التي وصلتُ إليها، ولكنني لم أستطعِ العثورَ عليه.

هنا قال له الرجلُ الصالحُ معاتباً ومؤنِّباً:

ـ شيءٌ غريب! عندما يفقد الإنسانُ اللهَ ويبتعدُ عنه، ولا يبحثُ عنه أبداً؛ عندها لن يستطيعَ أنْ ينالَ مرادَهُ،

أنت مثلاً.. في هذا العمر هل يفعلُ بك ضياعُ طفلٍ هذا الفعل؟! لماذا لم تبحثْ عن الله ﷻ؟ وعندها اطلبْ منه أنْ يجدَ لك ابنَكَ الضائع، كما وُجِدَ سيدنا يوسف من قبل.

تمالَكَ الرجلُ نفسَهُ عندما سمع هذا الكلام، وعدَّلَ من هيئتِهِ، وتاب إلى الله تعالى من هذا الجزع الذي استولى عليه، وما هي إلا فترةٌ وجيزةٌ حتى جاءه خبرُ العثورِ على ابنِهِ الضائع.

كلُّ تلك النِّعَمِ التي نَنْعَمُ بها هي من عطاءِ الله لنا، هو الذي وَهَبَ لنا الصحة والمال والأولاد والأحفاد، ويجب أن لا يتعلَّقَ قلبُنَا بما وهبنا، وإنَّما يكون حبُّنَا للذي وهبَ وأعطَى.